بلاغة الصورة في الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية (داعش) - دراسة تحليلية لعينة من الرسائل البصرية

الدكتورة/نوال وسار
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي-

مدخل:

شغل موضوع توظيف الصورة في الإعلام المعاصر مساحة واسعة من الاهتمام من طرف التقنيين والإداريين والصحافيين حتى أضحى مفهوم الصورة في الخطاب الإعلامي الحديث يخطو نحو مصاف المواضيع الأكثر أهمية تنظيرا وممارسة، و أصبح موضوعها يسري في كل شرايين الجسم الإعلامي المعاصر بل أحد محدداته ومرتكزا ته الأساس، ومما لاشك فيه أن الصورة بعنفوانها الرمزي لها من التأثير على المتلقي مالم تستطع عليه وسائط أخرى ، خاصة وأننا نعيش اليوم في زمنٍ يسود فيه الخطاب البصري على الخطاب السمعي، فأصبحت الصورة هي المحرك الأساس للتحصيل المعرفي وتعريف الحقيقة، وهنا يكون المواطن العالمي مستهلكًا لتلك الصور التي تزيف الحقائق والواقع ولا تعكسه بالضرورة

وتلعب الصورة اليوم دورًا كبيرًا في الأحداث السياسية في الساحة الدولية حيث يتم يوميا تداول الملايين ممن الصور بسرعة كبيرة فتصل إلى عدد كبير من البشر حول العالم فيمكن لتلك الصور أن تخلق الصراعات، توثق المذابح، توطد العلاقات بين دول وشعوب، وقد دفع هذا المنظرين إلى الاستعانة بالمنهجية البصرية« Visual Methodology" في تحليل الخطاب السياسي والتي تهتم بالصورة والرموز لما لها من تأثير سياسي واجتماعي.

وانطلاقًا من تلك الحقيقة تسعي هذه الورقة البحثية إلى تبيان أهمية وبلاغة الصورة في الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية (داعش) كنموذج نظرا لتميزها وقدرتها وقوتها وذلك عبر قراءة تحليلية لعينة من الرسائل البصرية والتطرق إلى: كيف استطاع تنظيم داعش توظيف الصورة والاستفادة من خصائصها الفريدة؟ وما الوسائل البصرية التي استخدمها التنظيم الداعشي؟ وما الرسائل البصرية التي أراد تنظيم داعش إيصالها والمعنى الذي وصل للمشاهد؟ ومن هنا قسمت الورقة البحثية الى أربعة عناصر:

أولاً– أهمية سميائية الصورة.... المبنى والمعنى

ثانيا– الوسائل الاعلامية لدى تنظيم الدولة الاسلامية (داعش).... الدعاية المجانية

ثالثا– الصورة والرمز في الخطاب الاعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية... الأبعاد والأهداف

رابعًا– قراءة تحليلية لعينة من الرسائل البصرية لتنظيم الدولة الاسلامية (داعش)

أولا– أهمية سميائية الصورة.... المبنى والمعنى

إن المضمون أو المضامين الدلالية للصورة هي نتاج تركيب يجمع بين ما ينتمي إلى البعد الأيقوني للمثيل البصري الذي يشير إلى المحاكاة الخاصة بكائنات أو أشياء وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسد في أشكال من صنع الانسان وتصرفاته في العناصر الطبيعية وما تراكمها من تجارب أودعها أثاثه وثيابه ومعماره وألوانه وأشكاله وخطوطه.

و الصورة تحمل دلالات مختلفة وتنقل لنا رسائل متعددة ذات رموز محددة يصعب فهمها وتحليلها إلا إذا عرفنا فك رموزها، وفي هذا الإطار يتحدث "باتيكل" وهو مختص بالتكوين الفيزيائي للصورة عن الرموز الأساسية للصورة، ويمكن تلخيصها على النحو التالي [1]:

1- رمز النقل (Transmission) وهي حبيبات الفضة بالنسبة للصورة الضوئية الالكترونية في الصورة التلفزيونية.

2- الرموز التشكيلية (Morphologiques) وهي التي تختص بالتكوين التشكيلي للصورة من حيث توزيع للكتل والخطوط والظلال.

3- الرمز اللوني (Chromatique) وهو المختص في معرفتنا للدلالة التي تفرزها الألوان والتي تحيلنا إلى علاقة الانسان بالطبيعة وما تفرزه من تأثيرات علينا فالإنسان يتمثل الحقيقة في لون السماء، ويرى معنى التضحية والعنف في اللون الأحمر وغيرها.

4- رمز التصوير الضوئي :وهو المتعلق بأحجام اللقطات وزواياها، فالتحول مثلا من زاوية لقطة إلى أخرى يؤدي إلى تغيير المعنى فالزاوية من أسفل تختلف عن الزاوية من أعلى في معانيها واختيار الأبيض والأسود أو الالوان إلى غير ذلك من معاني.

5- الرمز اللغوي (Linguistique)وهو مختص باللغة والكلمات المستعملة في العمل المقدم.

6- الرمز الاجتماعي (Socio-culture) وهذا الرمز يسمح لنا بالتعرف على الثقافي ثقافة ما فصورة عامة تتوسطها المآذن والقباب تحيلنا إلى إطار مرجعي يوحي بنبض الثقافة العربية الاسلامية.

مفهوم سميائية الصورة :اللقطة يمكن أن تقوم بدور" التعليق "من قبل المؤلف على الموضوع بمعنى أنه يمكن تشبيه الزوايا بما يستخدمه الكاتب من صفات وكثيرًا ما تعكس الزاوية موقفه تجاه موضوعه فإذا كانت الزاوية بسيطة يمكن لها أن تقوم بفعل نوع من التلوين العاطفي الدقيق، أما إذا كانت الزاوية متطرفة يمكن لها أن تمثل المعنى الرئيسي للصورة.

فصورة رجل من زاوية مرتفعة توحي في الواقع عكس المعنى الذي توحي به صورة الرجل من زاوية منخفضة [2]

من خلال ما تقدم من موضوعات يمكن استخلاص النتائج التالية:

1 – أن الدراسات الدلالية لم تكن وليدة اللحظة بل هي موغلة في القدم منذ أكثر من ألفي سنة إلا أن ميلاد علم الدلالة الذي يختص بالمعنى في اللغة جاء على يد عالم اللغة الفرنسي بريال في سنة 1897 م.

2- إن التعريفات التي وردت عن السيميائية تعني كلها العلامة أو الدليل، وبالتالي فإن موضوع السيميائية يتمحور حول العلامة الدليل والتي تتكون من وجهين مرتبطين ببعضهما ارتباطا قويًا هما : الدال والمدلول وبالجمع بينهما يتكون المعنى.

3- إن الصورة تشتمل على علامات ورموز وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات (الاجتماعية والفكرية السائدة في المجتمع وتكمن سيميائية الصورة هنا في فهمنا لهذه الرموز والقواعد والدلالات الموجودة بالصورة وبالتالي إمكانية قراءتها ومعرفة دلالاتها، أو بمعنى آخر التعرف على سيميائية الصورة.

4- أن سيميولوجية الصورة هي جزء من السيميولوجيا بمفهومها العام وهي مثل سيميولوجية الموضوعات أو اللسانيات لأن السيميولوجيا تدرس وتهتم بالعلامات اللغوية وغير اللغوية .

5-ان السيميولوجيا و السيميوطيقا كلمتان مترادفتان لمعنى واحد وهو العلم الذي يدرس (العلامات، رغم وجود بعض الاختلافات في الآراء عند بعض الكتاب.

6- تعد الصورة اداة تعبيرية سلكها الإنسان منذ زمن بعيد لتجسد المعاني والأفكار (والأحاسيس وبالتالي فهي عبارة أحد أهم العلامات غير اللغوية أوانها نظام للعلامات الاتصالية.

7- إن الصورة تحمل العديد من الدلالات المختلفة وتنقل الرسائل المتنوعة ذات الرموز (المحددة والتي يصعب فهمها وتحليلها إلا إذا فهمنا فك رموزها.

8- هناك قاسم مشترك بين اللغة والصورة يتمثل في الدال والمدلول والرسالة في حين هناك أيضا فارق كبير بينهما يتمثل في انفراد اللغة الطبيعية بالخاصية الصوتية التي تجبر الرسالة اللغوية على الاشتغال في الزمن بحيث يستحيل خروج وحدتين صوتيتين في نقطة زمنية واحدة ضمن السلسلة الكلامية، أما الصورة فتظهر كخطاب حاملا لمجموعة رسائل متزامنة الحضور على الصفحة.

ثانياً- الوسائل الاعلامية لدى تنظيم الدولة الاسلامية (داعش).... الدعاية المجانية

شكل تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" مرحلة جديدة مع التنظيمات الجهادية التقليدية كتنظيم القاعدة والجهاد بتحوله من تنظيم سري "مليشيوي "صغير إلى شبه دولة كاملة المقومات التقليدية: الحدود والأرض والسكان والسيادة، فكذلك إعلام تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" شكل هو الآخر تحولاً جديدًا نوعيًا وكميًا في إعلام التنظيمات الجهادية

و اهتم تنظيم الدولة الإسلامية مبكرًا بالجانب الإعلامي حيث تأسست أول هيئة إعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية سنة 2006 خطى هذا التنظيم مراحل متقدمة جاءت تحديدًا بعد دخول هذا التنظيم كطرف صراع في الحرب السورية ثم بعد استيلائه على مدينة الموصل بما فيها من مؤسسات إعلامية كانت مملوكة للدولة العراقية واستيلائه على مبالغ مالية ضخمة مُودعة ببنوك هذه المدينة، مع توفر هذه الإمكانيات المادية واللوجيستية ووجود العديد من أعضاء هذا التنظيم لهم خبرات سابقة في مجال الإعلام سيوسع التنظيم مؤسساته الاعلامية، حيث أرعب تنظيم الدولة الإسلامية العالم بفيديوهاته التي تصور عملياته الحربية وإعداماته مع ما يرافقها من دعاية وخطاب معلن وآخر مبطن وأدهشت هذه المقاطع المرئية متخصصي الإعلام والتصوير لما تحمله من احترافية في التصوير والإخراج تضاهي أفلام هوليود وتقنياتها.

وحسب الصحفي الكاتب صهيب الفلاحي يمكن تصنيف مؤسسات إعلام تنظيم داعش إلى مؤسسات رسمية [3]

-مؤسسة "الفرقان" التي أصدرت أكثر من 160 مادة مرئية ومسموعة لقيادات التنظيم.

-مؤسسة "الاعتصام" التي أصدرت أكثر من 100 مادة مرئية وبلغات متعددة.

-مؤسسة "الحياة للإعلام" التي أصدرت العديد من الإنتاجات أغلبها باللغة الإنجليزية.

-مؤسسة "أجناد" التي أنتجت إصدارات صوتية عالية الجودة مثل نشيد "يا ربي أسألك" ونشيد "أمتي قد لاح فجر" وغيرها، هذه المؤسسة هي التي تزود غيرها من المؤسسات بالمواد الصوتية والأناشيد الخاصة بالتنظيم.

النوع الثاني من المؤسسات الإعلامية هي المؤسسات غير الرسمية أو المناصرة والتي تم تزكيتها من التنظيم مثل:

-مؤسسة "ترجمان الأساورتي" التي ابتدأت كحساب شخصي على موقع "تويتر "وتم إغلاقه عشرات المرات من إدارة الموقع، كذلك نشرت هذه المؤسسة العديد من الإصدارت منها إصدار "كسر الحدود."

-مؤسسة "البتار" ومؤسسة "الخلافة."

-إذاعة "البيان" وهي أول إذاعة للتنظيم وتبث من مدينة الموصل."

ويهدف تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" من خلال إعلامه إلى إيجاد دعاية جهادية جديدة يمكن تلخيص أهدافها في:

1- كسب مظهر الصدق وكسب ثقة الجمهور المتلقي الذي هو بالأساس الطائفة السنية بالعراق وسوريا ثم باقي المسلمين ثم الأشخاص الممكن استقطابهم في باقي العالم، حيث تُظهر الأشرطة الدعائية وصفحات مجلة "ذابق" المجتمع الداعشي في استقرار وأمان وليس تحت الحرب أو القمع، وتركز الإصدارات على إظهار تلاحم المجتمع الداعشي بين كل مكوناته: أهالي المناطق المحررة وعناصر تنظيم الدولة الإسلامية من مهاجرين، عرب، عجم وأنصار.

2- تكرار مشاهد الانتصارات والفتوحات ومشاهد الإعدامات بقطع الرؤوس أو الإعدامات الجماعية بالرصاص وتهدف تقنية التكرار إلى ترسيخ فكرة وشعار الدولة "داعش": "باقية وتتمدد" مع ترسيخ الرعب والخوف في لا وعي وذاكرة خصوم الدولة قبل مؤيديها حتى يتراجعوا أو يهربوا خوفًا من التنظيم وبدون قتال، كما حدث في مدينة الموصل حين انسحبت القوات النظامية ساعات قبل وصول قوات داعش إلى المدينة وبدون قتال تاركين مواقعهم والكثير من أسلحتهم تحت تأثير الخوف بمفعول هذه الدعاية المؤثر.

3- استخدام رموز من أجل هدم رموز: تفيض إصدارات داعش بالكثير من الأيقونات والرموز والعلامات التي أصبحت مثل ماركة مسجلة أو بصمة مُميّزة لهذا التنظيم أهمها: عَلَم داعش الأسود المسمى راية العقاب، هذا العَلم المستمَد من السيرة النبوية حيث كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) أعلام متعددة منها علم لونه أسود مكتوب عليه صيغة الشهادتين، استخدم الكثير من التنظيمات الجهادية كالقاعدة نفس العَلم، لكن داعش أضافت تعديلاً فكتبت الشهادة الثانية بصيغة ختم الرسول حتى تُميز راية التنظيم عن باقي التنظيمات

الأخرى، يسعى تنظيم داعش من نشر هذا العلم والتركيز عليه وتكرار تصويره في كل إصداراته إلى الإشارة أن هذا العلم سيسود باقي دول المنطقة والعالم وسيحرق باقي الأعلام "الكفرية."

كما أن تنظيم الدولة يُعتبر تحولاً نوعيًا في الحركات الجهادية والسلفية شكلاً وأهدافًا وأسلوبًا، فإن إعلامه أيضًا يُعتبر تحولاً نوعيًا وكيفيا كبيرًا استفاد فيه التنظيم من كل الوسائل التكنولوجية الحديثة في التصوير والإخراج والدعاية والتأثير على جمهوره والجمهور العالمي بما يتوافق مع أهداف وأفكار التنظيم؛ فمرة يسعى تنظيم الدولة إلى تبرير أفعاله والتبشير بمستقبل "إسلامي" عادل يكفل الكرامة والعيش الحر لشعوب المنطقة المستضعفة، ومرة يسعى التنظيم إلى إرهاب أعدائه وخصومه وإلحاق أكبر الأضرار النفسية بجنوده وقادتهم وحاضِناتهم الاجتماعية والسياسية، كل هذه الأهداف يسعى التنظيم إلى تمريرها مُخزنة في صور متقنة ورموز غاية في الدلالة[4].

ثالثاً– الصورة والرمز في الخطاب الاعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية... الأبعاد والأهداف

1– الرسالة البصرية عند تنظيم الدولة الاسلامية (داعش)

تتبنى الكثير من الحركات الإسلامية المتطرفة استراتيجية تتخذ من الرمز والصورة محورًا لها و داعش ليست استثناءً على تلك القاعدة. فالفيديوهات والصور كانت آليتها لإثبات نفوذها في العالم وطرح رؤيتها، والصورة التي طرحتها داعش ليست الحقيقة ولكنها كانت محاولة خلق واقع جديد يتحكم صانعيها في حدودها الصورة وتأطيرها بما يسمح لها بإيصال رسالتها، فيمكن للرموز والصور تسليط الضوء على حادثة قد لا تكون بنفس قدر أهمية حدث آخر كما يمكنها تضخيم الأحداث .

وقد أدركت داعش أننا في عصر الصورة وأن هناك تسيدًا للصورة على الكلمة من هنا فإن دراسة سيميائية الصورة عند داعش في غاية الأهمية، فالرموز والصور التي تطرحها داعش جزء أصيل من رسالة التنظيم فتوجه داعش رسالة بصرية قوية وتقدر قيمة الصورة في إرساء مفاهيم في عقول الأفراد، وعلى النقيض مما هو معروف عن التيارات المتشددة من أنها تحرم الصور وتنتقد الإعلام فإنها لجأت إلى تلك الوسائل بصورة براجماتية لإيصال أهدافها وكانت صدمة المشاهد استراتيجية تبنتها داعش، فلا بد لأي صورة تنشرها داعش أن تكون صادمة وينبغي للصورة التالية أن تكون أكثر عنفًا من السابقة لإحداث الارتباك والقلق لدى مشاهديها خوفًا مما يمكن أن ترتكبه داعش فيما بعد .

وتُقدِم داعش على تصوير عملياتها باستخدام تقنيات حديثة للغاية في إنتاج الفيديوهات فقامت شركة إنتاج الفيديو الداعشية "الحياة" بعرض المئات من الفيديوهات الدعائية لداعش، وتعتمد داعش على سياسة إعلامية

احترافية، فبعض المتخصصين في الإعلام والسينما يؤكدون أن داعش تستخدم تقنيات الإخراج الموجودة في هوليوود وتحديدًا عند استخدام الأسلوب السينمائي لتهديد أمريكا، في الفيديو الذي نشره التنظيم، ومدته 52 ثانية، وفيه تهديد للبيت الأبيض بتدميره وإشاعة النيران في كافة أرجاء الولايات المتحدة [5] بجانب ذلك يغلب على الصورة الداعشية النفعية فهي لإيصال رسالة سياسية معينة كما يغلب عليها عدم التركيز على إبراز الجمال بل تركز على إظهار القسوة والوحشية، وتعتمد داعش في نشر الصور على وسائل التواصل الاجتماعي. فتساعد تلك الوسائل على إيصال الرسائل المصورة إلى عدد كبير من المشاهدين ومن خلال نشر الصور على صفحات التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيس بوك يزداد عدد المشاهدين بكثافة لها

كما تعتمد داعش على مجموعة كبيرة من المواقع الإلكترونية لنشر أفكارها وأخبارها ومن أشهر المواقع التي تنتمي للجماعات التكفيرية منبر الإعلام الجهادى، المتخصص في نشر جميع بيانات وعمليات تنظيم داعش، إلى جانب بعض التنظيمات الأخرى وعلي رأسها تنظيم أنصار بيت المقدس. وتعد شبكة الجهاد العالمي من أبرز الشبكات الجهادية التي تنشر أخبار وبيانات تنظيمي داعش والنصرة، كما يعد منتدي شموخ الإسلام أحد أبرز المنتديات الجهادية التي تنشر جميع أخبار الحركات التكفيرية في سوريا والعراق ومن أبرزها تنظيم داعش وتنشر أيضًا بيانات التنظيمات الجهادية [6]يتبنى الكثير من الحركات الإسلامية المتطرفة إستراتيجية تتخذ من الرمز والصورة محورًا لها .

2- مكونات الصورة الداعشية

هناك مكونات عديدة للصورة تهتم بها داعش مثل اللون والديكور والملابس كما كانت هناك بعض الرموز التي استعان بها الداعشيون مثل رمز " الجسد " وفيما يلي نلقي الضوء على بعض تلك الرموز:

*الجسد الإنساني :حرص الداعشيون على تصوير قوة أجسادهم، وتراءى لنا هذا في عدة فيديوهات . ففي الفيديوهات يتم تصوير الداعشي بأنه رجل ضخم طويل عريض المنكبين لا يظهر وجه الداعشيين في كثير من الفيديوهات مع أن الوجه هو المعبر عن تفرد الشخص وغايتهم من وراء ذلك هو التخفي، وبجانب ذلك فارتداء كل المنتمين للتنظيم لذلك الزي لإيمانهم بذات الأهداف وفي فيديو إعدام الأقباط المصريين على السواحل الليبية بدت أحجام وأبدان الضحايا متفاوتة، أما الداعشيون فكانوا عمالقة أشداء يرتدون الأسود كان زعيم داعش يرتدي زيًا عسكريًا بيده السكين التي يشير بها إلى المشاهد، وهو يتلو علينا خطابه وشاطئ البحر يغلب عليه الغيوم. وقد أمسكوا بالرهائن الذين بدوا مستسلمين لكل اوامر خاطفيهم ثم في نهاية الفيديو يختلط الدم بمياه

البحر مفاجئة[7]ومن الملاحظ على الصور أو مقاطع الفيديو المصورة التي تنشرها داعش لإعدامات الرهائن تركيزها على أجساد من يقومون بتنفيذ عمليات الإعدام وهم عادة ما يكونون ذوي اجساد ممتلئة وقامات فارعة ويقفون بصورة منتصبة أمام الكاميرات، وهو جزء من مناخ إشاعة الخوف لدى المتلقي بصريا لتلك الصور عبر اللغة المكشوفة أو المضمرة التي يتم تأويلها من قبل المشاهد.

*الزي والتنكر :يتميز الداعشيون بالزي المختلف في الفيديوهات يرتدي الداعشيون زيًا اسود أما ضحاياهم يرتدون الزي البرتقالي الذي يبدو عليه دقة الصناعة ودوما ما يحاول الداعشيون اخفاء وجوههم من على أغلفتهم فهم يعيشون في خوف من الإفصاح عن وجوههم . أما بالنسبة للتنكر فيلجأ إليه أفراد تنظيم داعش لتنفيذ عملياتهم وقد انتشر الترويج للزي الداعشي في العالم .

فقد ذكرت صحيفة "إندبندنت" البريطانية أن تجار الملابس في إندونيسيا يستثمرون الحرب في العراق وسوريا ويقدمون ما قالت إنه "بضائع تجارية إرهابية"، حيث يتم بيع تصاميم للزي الذي يلبسه "الجهاديون"، وقمصان وقبعات وأغطية رأس، كلها تحمل تصاميم ورسوم مأخوذة من دعاية داعش [8]

*مغزي اللون :اللون البرتقالي هو الغالب في فيديوهات داعش ولم تكن داعش أول من استخدمته فقبل داعش استخدم تنظيم القاعدة الزي البرتقالي عام 2004 حين بثّ مقطعًا مرئيًا للمهندس الأمريكي بول جونسون، الذي اختطفوه في جزيرة العرب وقطعوا رأسه. وكان استخدام التنظيم للون البرتقالي كردّ على زي السجناء في سجون غوانتانامو الذين يرتدون اللون البرتقالي [9] وقد ذكر مسئول كبير بوزارة الدفاع الأمريكية إنها "ليست مصادفة" أن تكون تسجيلات الفيديو الحديثة من داعش لإعدام رهائن أردنيين ويابانيين تظهر الضحايا يرتدون زيًا برتقاليًا "، ويُعتقد أنه لون زي سجناء جوانتنامو .

المرأة :صورة المرأة المفضلة لداعش هي المرأة المنتقبة التي تحمل السلاح للدفاع عن المبادئ الداعشية وهناك زي خاص بالنساء، ووضعت كتيبة الخنساء الداعشية تعليمات ومواصفات لباس صارمة تطالب جميع الإناث في سن البلوغ بارتداء عباءتين معا لإخفاء تفاصيل الجسم، وقفازات سوداء لتغطية أيديهن، وثلاثة أغطية للرأس حتي يمنعن النظر إلى وجوههن، حتى في ضوء الشمس المباشر [10]وعلى الرغم من مطالبات الحركات الإسلامية الجهادية النساء دومًا باعتزال المجال العام فكان يُحظر على النساء الظهور والتطرق إلى الشأن السياسي، فإن نساء داعش يلعبن دورًا حيويًا فقد تم تدريبهن على القتال والتجسس ونقل المعلومات. وفي الصور والفيديوهات يتم تصوير النساء وهن يستعرضن حركاتهن في مخيّمات التدريب العسكري من خلال مقاطع الفيديو[11] . ويُذكر أن 40% من مواقع الفكر المتطرف تديرها نساء ينتمين إلى داعش ولا يجدون أي حرج من التحدث للرجال ويتم توظيف تلك النساء فيما يُعرف بنكاح الجهاد بعض المتخصصين في الإعلام والسينما يؤكدون أن داعش تستخدم تقنيات الإخراج الموجودة في هوليوود وتحديدًا عند استخدام الأسلوب السينمائي لتهديد أمريكا.

3- خصائص الصورة وأهم الفيديوهات التي صنعتها داعش

تعددت الصور التي صُنِعت من قبل داعش وتميزت بالدقة والحرفية الشديدة فطل علينا داعش بصور صادمة لقطع رؤوس وصلب واغتصاب وبتر أعضاء، من أكثر الصور الصادمة كانت صور طفل يحمل بندقية للجهاد قبل أن تكون لديه القدرة على المشي وصورة لتجمع الحشود لمشاهدة قتل الكفار وخارقي القوانين، صور لإلقاء الأجساد من أعلي أسطح العمارات، وصور لجماعة الخنساء الجهادية للنساء الجهاديات اللاتي يعاقبن النساء اللاتي يخترقن القواعد الداعشية وصور اتخاذ الكنائس في العراق كسجون وأماكن للتعذيب، وصور تدمير التماثيل في مدينة تدمر.

أما بالنسبة للفيديوهات فقد تعددت واعتمدت داعش فيها على تصوير أقسي درجات العنف التي يتميز بها داعش فقد ظهر منها فيديو نُشِر في أغسطس 2014 لإعدام الصحفي الأمريكي جيمس فولى، وفي نوفمبر 2014 فيديو لإعدام الأمريكي "بيتر كاسيك "و16 جنديًا سوريًا. وفي يناير 2015 نُشِر فيديو لطفل داعشي يعدم روس، وفي فبراير 2015 تم نشر فيديو لإحراق الطيار الأردني معاذ الكساسبة حيًا وأيضًا في نفس الشهر نُشِر فيديو لإعدام 21 قبطيًا مصريًا في ليبيا، وفي مايو 2015 عُرِض فيديو لسجين سوري يحفر قبره قبل إعدامه. كما ظهر في أغسطس 2015 تسجيل فيديو جديد نشره تنظيم "الدولة الإسلامية" طفل ممن يطلق عليهم "أشبال الخلافة" يقوم بعملية ذبح ضابط في الجيش السوري [12]

وتصور بعض الفيديوهات الداعشية النساء أيضًا مثل فيديو بعنوان " داعش تبيع النساء عذارى بسوق النخاسة" النساء وهن مقيدات بالحبال، ويتم إيقاعهن على الأرض وضربهن، وقد تم عقد مسرحية في لندن لمحاكاة فيديو داعش وفي نهايته يقولون "تسقط داعش .Down With ISIS "أيضًا فيديوهات لاغتصاب جماعي لنساء مسيحيات في الموصل وهم يرددون لا إله إلا الله والله أكبر [13]

ومن أكثر الفيديوهات التي تناولها الباحثون بالتحليل فيديو الصحفي الأمريكي "جيمس فولي" ويغلب على فيديو قطع رأس فولي الحرفية والتقنية العالية، وواضح أن من صنعه محترف في الإخراج والتصوير . وفيه تصوير خارجي ليس داخليًا وهو ما يعطي انطباع عدم الخوف من الآخرين، ثم يتم تصوير صحفي أمريكي آخر "ستيفين سوتلوف" وهو يرتدي نفس الزي البرتقالي وتهدد داعش في النهاية بأنه ستكون نهايته الموت إذا لم ينفذ أوباما مطالبهم. إلا أن بعض المحللين قد تشككوا في مقتل فولي حقيقةً بسبب عدم إبراز عملية النحر وبسبب تماسك الضحي أثناء القتل وكأنه يشعر بعدم الخوف رغم اقترابه من الموت .

4- الرسائل البصرية التي تصل للمشاهد من جراء مشاهدة تلك الصور الثابتة والفيديوهات

يبدو مكمن قوة داعش بالأساس في استخدام التكنولوجيا العالية لإيصال الرسالة ولأننا في عصر الصورة فيلجأ التنظيم إلى الصور من أجل تضخيم قوة داعش ومن أجل إرسال الرسالة بصورة مثيرة صادمة بالتأكيد وسريعة فالهدف كله هو استعراض القوة

وقد تناول الكثير من المنظرين الصورة الداعشية بالتحليل فتذكر "سيمون مورلين فريس" في مقالها " بتخطى أي شيء شاهدناه من قبل: فيديوهات قطع الرؤوس ورؤية العنف في الحرب ضد داعش " أن الاهتمام العالمي الكبير بفيديوهات داعش عن قطع الرؤوس يعبر عن أهمية الخيال البصري ووسائل الإعلام البصرية Visual

Mediaفي الحروب الراهنة. كما أضافت أن التطور التكنولوجي والأساليب التي يتم إنتاج وتداول الصور من خلالها، والارتباط الشديد للمواطنين حول العالم يسّر أساليب تبادل الصور عن الحرب .فلا يمكن أن نفهم الحرب والعنف بدون أخذ وسائل الإعلام البصرية في الاعتبار، ثم تتطرق الباحثة إلى أن كثيرًا من الدراسات ركزت على السياقات الدينية والثقافية التي تم من خلالها طرح تلك الفيديوهات وتمكنها من أن تُصبِح أدوات في أيدي المنظمات الإرهابية .

أما المجتمع العربي فيقف عاجزًا عن مواجهة تلك الصور والفيديوهات مع أنها لها تأثيرات سلبية طويلة المدي أيضًا إلا أن بعض حكومات الدول الإسلامية حول العالم قد أدركت أن لتلك الصور تأثيرًا على صورة الإسلام، فتطرقت إلى الآثار السلبية الشديدة لتلك الممارسات على صورة الإسلام بالخارج، فذكر وزير الخارجية الماليزي "حنيفة أمان" في مبنى الأمم المتحدة بعد اجتماع لمجلس الأمن أن تلك الصور التي تصدرها داعش تسيء لصورة الإسلام لدى العالم لذلك دعا الدول الإسلامية إلى التنسيق فيما بينها لحل المشكلة ولوقف داعش ولتصحيح الصورة التي رسمها داعش .

رابعًا– قراءة تحليلية لعينة من الرسائل البصرية لتنظيم الدولة الاسلامية (داعش)

قراءة تحليلية لدلالات الملابس عند مقاتلي داعش:

الصورة البصرية التي يقدّمها مقاتلو تنظيم داعش للعالم عبْرَ ملابسهم هي الصورة الهمجية والبربرية والبدائية والتي تعودُ إلى المرحلة الأنثروبولوجية التي سبقتْ إدخال أي تزيينات أو جماليات على الملابس وهم لا يرتدون هذه الملابس باعتبارها فولكلوراً أو تراثاً شعبياً، بل هي ملابس الحياة اليومية التي تشي بالوظيفة الاجتماعية، وإن كانت الجيوش الحديثة ترتدي ملابس موحدة توحي بالقوة والرجولة فإنها تمثّل القوة المنظّمة والرجولة المتمدّنة، أما ملابس مقاتلي داعش فإنها توحي بالعنف المنفلت والفحولة البهيمية والشهوة للدماء.

بالمقابل؛ قد تشكّل هذه الملابس صورةً مغرية لبعض الشباب الذين يحملون رغبةً دفينة بالعودة إلى زمن الهمجية ولاسيما بعض الشباب المسلمين المقيمين في الغرب، والذين لم يستطيعوا التكيّف مع مجتمعاته فراحت تنبذهم هذه المجتمعات مثلما ينبذونها، مما يشكّل عندهم شعوراً عميقاً بالانهزام

الحضاري أمام الغرب المتفوّق، وشعوراً بالانهزام الجنساني أمام المرأة الغربية التي لا يستطيعون إخضاعها وفق تصوّراتهم المسبقة عن المرأة- فيجنحون نحو الحياة البدائية، كردّ فعل على المدنيّة الحديثة.

قراءة تحليلية لخطاب الصورة واللون:

غالباً ما تصلنا صور تنظيم داعش على شكل أرتال من السيارات السائرة في الصحراء بعيداً عن مناطق العمران، مما يقدّم للمتلقي صورةً قبليةً رعويةً)ما قبل المرحلة الزراعية) لحياة هذا التنظيم، ويعزّز الرؤية الاستشراقية للصحراء العربية والإفريقية المليئة بالأساطير والخرافات والعفاريت، مع ما تحمله الصحراء من دلالات ''الأرض الموات'' و ''صحراء التيه'' التي قد لا يخرج الإنسان منها.

وتعمّد التنظيم تصوير فيديوهات إعدام الرهائن في الصحراء أيضاً، ليظهر فيها السيف المعقوف، وكأنه خارجٌ من ''ألف ليلة وليلة''. فالغرب ليس عنده مشكلة مع العنف المنظّم، مشكلته مع العنف المنفلت، والمشاهد الغربي معتاد على متابعة أفلام الأكشن التي تظهر فيها مشاهد القتل بالأسلحة النارية الحديثة، لكنْ إذا نظرنا إلى أكثر أفلام الرعب شهرةً في السنوات الأخيرة؛ سنجد فيلم) ''Saw'' المنشار) على رأس القائمة، الذي تظهر فيه مشاهد القتل بالمنشار. وهنا لا يتلقّى لمشاهد فيديوهات داعش بوصفها فصلا من فيلم أكشن، بل فصلا من أفظع أفلام الرعب، فما بالُكَ عندما يصبح الخيال السينمائي واقعاً .!

من حيث دلالات اللون، يختار الجلاد اللون الأسود، وهو لون الليل والخوف والموت والعالم السفلي، بينما يختار لضحيّته اللون البرتقالي، وهو لونٌ ناريّ يدلّ على الشمس والنهار، كما أنه مرتبط بفاكهة البرتقال، وما تحمله من جمالية الشكل ولذة الطعم والفائدة الصحية، وهنا يأتي السيف القرَوَسْطي ليعلن انتصار قوى الليل على قوى النهار، وانتصار الباطل على الحق، وانتصار القباحة على الجمال.

ولا يمكننا أن نتجاوز القناع الأسود الذي يرتديه الجلّاد فهو يُغفل ملامح الجلاد وهويته مما يحرّض اللاوعي على رسم ملامح لهذا الجلاد، وهنا يبدأ المتلقي -لا شعورياً- برسم صورة متخيّلة لهذا الجلاد، فقد يُسقط عليه

ملامحَ عدوّه في العمل، أو ملامح شخصٍ آذاه سابقاً، أو شخصٍ يخشى منه. وهنا ينتقل الجلاد من الصحراء البعيدة إلى الحياة اليومية للمشاهد.

قراءة تحليلية لدلالات اللِّحى والشُعور:

في الحروب القديمة والحديثة عادةً كان المقاتلون يُطيلون شُعورهم ولحاهم ليقدّموا أنفسهم بصورةٍ أقرب إلى البدائية والهمجيّة بهدف إثارة الرعب عند خصومهم وليقدّموا أنفسهم بأعلى درجات الذكورة والفحولة، لأنّ الانتصار العسكري يُخفي في طيّاته انتصاراً جندرياً، وتحفل اللغة بهذه الدلالات الجنسانية فيُلقّب القائد العسكري المنتصر بـ"الفاتح" وتسمّى الأرض المحتلّة بـ"الأرض المغتصبة."

وتقدّم هذه اللحى الشعثاء والشعور الطويلة الفوضوية رسالةً إعلاميّة ديماغوجيّة، تعتمد على إثارة المخاوف المُسبقة عند الشعوب، فلا يوجد شعب إلّا يحمل في ذاكرته الجمعيّة صورةً للغزاة البرابرة ذوي الشعور الطويلة واللحى الشعثاء وصورةً لما يتبعُ هذه الغزوات من سلبٍ ونهب وقتلٍ واغتصاب)صورة البرابرة الجرمان في الذاكرة الأوروبية، صورة المغول في الذاكرة العربية.

لكنْ في المقابل، تقدّم هذه اللحى والشعور صورةً مغرية لبعض الشباب المنهزمين حضارياً واجتماعياً وجنسانياً، فيميلون إلى تقمُّص صورة الجلّاد كردّ فعل على مجتمعاتهم، ويجنحون إلى البدائية والبربرية كردّ فعل انتقامي من المدنيّة الحداثة.

كما يمكن أن تقدّم هذه اللحى والشعور بما تحمله من ذكورة بربرية، صورةً مغرية لبعض الفتيات المنهزمات اجتماعياً أيضاً واللواتي يجدنَ الصعوبة في إثبات أنفسهنّ في مجتمعاتهنّ الذكورية، وفي تقديم أنفسهنّ أنداداً للرجل في العمل والحياة فيفضّلنَ الانتقال إلى مجتمع لا يطلبُ من المرأة أنْ تكون ندّاً للرجل، ويستسلمنَ لحالة من العبودية أو الإقطاعية بوصفها منظومة اجتماعية– اقتصادية.

قراءة تحليلية لدلالات ملابس النساء:

فرضَ تنظيم داعش على النساء اللون الأسود فقط القماش الأسود الفضفاض الذي يغطّي المرأة من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها ومن ثم تظهر النساء جميعهن في المجتمع بصورةٍ نمطيةٍ واحدة وينتفي التمايز والفروقات بين امرأة وأخرى ومع إلغاء التمايز تصبح للمرأة وظيفة اجتماعية واحدة فقط.

هذا السواد الدامس يغيّب ملامح الجسد كاملةً ويلغي وجوده الإنساني ومن ثم يُشيّئِهُ (يحوّله إلى شيء)، ويصبح الجسد الإنساني هو جسد الرجل فقط مما يعزّز سلطته الذكورية ونشوته الاجتماعية ويعزّز ما يعده "حقّه" بالملكيّة الإقطاعية لجسد المرأة.

كما أنّ لتغطية الجسد وظيفة إغرائية كبيرة فكلّما كان الجسدُ غائباً عن البصر كان حاضراً في المخيّلة، فيبدأ الطفل بوعيه وبلا وعيه برسم تصوّرات عن هذا الجسد الحاضر/ الغائب وتزداد التصوّرات غموضاً واضطراباً ومن ثم سحراً وإثارةً مع التقدّم بالعمر. ولا يشكّل الجسد المكشوف حالاً مثيرةً إلا عند الرجل الذي نشأ في بيئة تغيّب الجسد، وبذلك يأتي الجسد – بعد الزواج- جواباً عن تساؤلات الخيال وتصوّرات اللاوعي.

وهنا يأتي الجسد الملفوف بالسواد ليرضي مركّبات النقص السادية والمازوخية، فالرجل ينتصر على جسد المرأة – نهاراً- بتشييئِهِ وإبعاده عن الحياة الاجتماعية ودفنه في البيت أو السواد وينهزم أمامه – ليلاً- نظراً لحاجته الغريزية إليه، وقد تختلف معاملة الرجل نفسه مع المرأة ذاتها بين الليل والنهار.

و في هذا السياق نشرت صحيفة "لوموند" الفرنسية تقريرا حول توظيف تنظيم الدولة للصورة لتلميع مشاهد الذبح و الاعدام و بث الرعب في صفوف الخصوم.

و قالت الصحيفة في التقرير الذي نشرته أن الصورة اصبحت مصدرا للمعلومة تماما مثل القراءة و هو ما انتبه له تنظيم الدولة الذي اصبح يتفنن في نشر صور التصفيات الجسدية التي اصبحت تتميز بتقنيات عالية الجودة

و بمؤثرات نفسية صادمة تلعب على جميع الحواس البشرية و تهدف لتحفيزها اثارة و رهبة كما انها حافلة بالإيحاءات السياسية و الرسائل المشفرة.

و رأت الصحيفة ان التنظيم الارهابي يستهدف التأثير على نفسية الانصار و الأتباع –إلى جانب بث الرعب لدى الأعداء– و دفعهم إلى تقليد ما يقع تداوله في الصور عبر الإيحاء بأنه أمر طبيعي و مثير للفخر و هو أساسا ما دفع منفذ العملية الارهابية في مصنع الغاز بفرنسا إلى التقاط صورة "سيلفي" مع رأس مديره المقطوع و ارسالها إلى صديقه في سوريا.

و ذكرت الصحيفة ان استغلال "إنسان" و التنكيل به للقيام بعرض دينيّ يعدّ ظاهرة غامضة بالنسبة للناس في عصرنا الحاليّ خاصة غير الملمّين بالصراعات الدينية في تاريخ الانسانيّة ،و هو ما دفع بالمؤرخين الفرنسيين المتخصصين في التاريخ الحديث دينيس كروزي و جون ماري لوغول لإصدار كتاب بعنوان "خطر الحروب الدينية" يقارنان فيه الأعمال الوحشية التي تقوم بها "داعش" بالعنف الدموي التي تمّت ممارسته في أوروبا في القرن السادس عشر ، و قد خلص الكاتبان أن الغطاء الدينّي و حالة الخدر التي يمارسها على "المتديّنين" و التي تفعل في نفوسهم فعل الأفيون هي التي ساهمت في تبرير و استساغة بل و تتفيه كل فعل وحشي لا إنساني، و قد اختلطت في تلك الصراعات –مثلما هو الحال الآن– الحسابات السياسية و الصراعات الاجتماعية بالشعارات الدينية.

الخاتمة

لا نعيش فحسب في عصر الصور بل عصر "حروب الصور" اشتعلت معارك طاحنة في العالم العربي متمحورةً حول الصورة و رأينا ذلك بقوة في الثورات العربية، فالنزاعات التي لفتت الانتباه دار كثير منها حول الصورة إما صورة قتل أو تعرية أو تشويه ... إلخ .

وقد انتبهت داعش إلى تأثير "الصورة" فكانت سلاحًا أيضًا في حرب نفسية نجحت داعش في ترسيخ صورة ذهنية لها في العالم بأنها كيان إرهابي استثنائي في الوحشية، وعملت داعش على "مسرحة القتال "فكانت داعش تحاول مسرحة الوحشية وعرضها. فالرموز الصادرة عن داعش تم طرحها على المسرح(On Stage) ، تلك الصور والرموز قد تتصل بالواقع ولكنها ليست الحقيقة بحذافيرها، فالصورة هنا من خصائصها تضخيم الأحداث بالإضافة في بعض الأحيان إلى الخداع والإيهام .

في النهاية نرى أننا ترسخ في أذهاننا صور كثيرة يمكننا ألا نتذكر كثير من تفاصيل الحدث ولكن تبقى الصورة راسخة مثل صورة "محمد الدرة " أو "علي دوابشة " أو "إيلان كردي" فينبغي أن نعلم تأثير الصور علينا، وينبغي إدراك دلالة الصور وحجم تأثيرها على وعينا بالأحداث.

الهوامش:

(1) قدور عبد الله، سيميائية الصورة، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص100 .

(2) عبد الباسط سند، فن التصوير التلفزيوني، (د. د.ن) ، القاهرة ،2009 ، ص132 .

(3) صبري حافظ، داعش وسطوة الصورة.. تمويه الهمجية وزعزعة الشرعية،
http://www.tahrirnews.com/posts/تمت زيارة الموقع يوم 2016/08/13 على الساعة 14:45

(4) عبد الحميد أبوزرة، الصورة و الرمز في إعلام داعش، www.noonpost.netتمت زيارة الموقع 2016/08/08 على الساعة 9:00

(5) أمجد المنيف، الصورة.. في قبضة داعش! ،http://www.alriyadh.com/1010586 ، تمت زيارة الموقع يوم2016/08/09، على الساعة 22:09.

(6) كامل كامل وآخرون، بعد دعوة السيسي بغلقها..المواقع التكفيرية على شبكة الأنترنت
http://www.youm7.com/story/، تمت زيارة الموقع يوم 2016/08/11 على الساعة 23:20.

(7) صبري حافظ، داعش وسطوة الصورة .. تمويه الهمجية وزعزعة الشرعية،
http://www.tahrirnews.com/posts/، تمت زيارة الموقع يوم 2016/07/08 على الساعة 13:20

(8) Natasha Culzac, Dress like a jihadist: Isis and terror-related merchandise flogged online and in Indonesian stores, http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/dress-like-a-

jihadist-isis-and-terror-related-merchandise-flogged-online-and-in-6indonesian-stores-9560230.html , 24-6-201.

(9) ماذا وراء اللون "البرتقالي" في إعدامات "داعش"؟، http://www.alsumaria.tv/new، تمت زيارة الموقع يوم 2016/07/27 على الساعة 23:21

(10) عنتر سعيد، تعرّف على تقنيات "كتيبة الخنساء" للتجسس على نساء داعش، http://www.alarabiya.net/ar/arab-and world/syria، تمت زيارة الموقع يوم 2016/07/27 على الساعة 23:30.

(11) نساء القاعدة .. من الهاشمية إلى الصفوف الأولي لقيادة التنظيم :تحول لدور المرأة وطريقة التعامل معه، www.alarabiya.net/articles، تمت زيارة الموقع يوم 2016/07/17 على الساعة 23:40.

(12) لأول مرة.. عملية ذبح يقوم بها طفل من "أشبال داعش" (صور-arabic.rt.com/news/788846 ، تمت زيارة الموقع يوم 2016/07/17 على الساعة 23:40.

(13) beheading videos and the visibility of violence in the war against ISIS, International Affairs, 2015 , p.p.726